

التربية الإسلامية - سبل الوصول وعلامات القبول- الدرس (٥٩-٧٠) : الفتوة منزلة من منازل السالك إلى الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٢٠٠٣-٠٢.

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار العلم والمعرفة، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

#### الفتوة :

أيها الأخوة الكرام، مع موضوع جديد من موضوعات: "سبل الوصول وعلامات القبول"، والموضوع عنوانه: "الفتوة"، فالفتوة منزلة من منازل السالك إلى الله، حقيقتها الإحسان، والإحسان نهاية العمل، لقوله تعالى:

#### ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

[سورة الرحمن]

لقد منحك الله نعمة الإيجاد، ومنحك نعمة الإمداد، ومنحك نعمة الهدى والرشاد، أنت حسنة من حسنات الله عز وجل فهل جزاء إحسان الله لك إلا أن تحسن إلى خلقه؟

#### ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

الله عز وجل خلقنا لـ:

#### ﴿ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٣٣]



الله عز وجل خلقنا ليسعدنا، خلقنا ليرحمنا.

#### ﴿ إِيَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

[سورة هود الآية: ١١٩]

وكل الخلق مطلوبون لرحمة الله عز وجل، فإذا كان ردّ فعلك على إحسان الله لك أن تحسن إلى عباده، فهذه منزلة سماها العلماء منزلة الفتوة، وهي بين التخلق وبين المروءة، جمعت مكارم الأخلاق كلها في المروءة.

والبدايات إنما الحلم بالتعلم، وإنما الكرم بالتكريم، وإنما العلم بالتعلم، فأن تتصنع الحلم هذا سبيل أن تكون حليماً، أن تتصنع الكرم هذا طريق أن تكون كريماً، أن تتعلم هذا طريق أن تكون عالماً.

فالفتوة بين التخلق وبين المروءة التي جمعت فيها مكارم الأخلاق، وإن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً، فالإيمان هو الخلق ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

### من آمن بالله و شكره حقق الهدف من وجوده :

أيها الأخوة، مرة ثانية وثالثة: الله عز وجل سخر لك هذا الكون لأنه حينما عرضت عليك الأمانة المخلوقات جميعاً أبوا أن يحملوها، وأشفقوا منها، وأنت أيها الإنسان قلت: أنا لها يا رب، قبلت حمل الأمانة ، فلما قبلت حمل الأمانة.



﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ ﴾

[ سورة الجاثية الآية: ١٣ ]

سخر الله لك أيها الإنسان.

﴿ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

﴿ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

[ سورة الجاثية الآية: ١٣ ]

تسخير تعريفٍ وتسخير تكريم، أراد من هذا الكون الذي سخره لك أن تعرفه، وأراد من هذا الكون الذي

سخره لك أن يكرمك به، فردّ فعل التعريف أن تؤمن، وردّ فعل التكريم أن تشكر، إذا آمنت وشكرت حققت الهدف من وجودك، قال تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ ﴾

[ سورة النساء الآية: ١٤٧ ]

فحينما تشكر وحينما تؤمن تكون قد حققت الهدف الأكبر الذي خلقت من أجله.

### الفرق بين الفتوة و المروءة :

أيها الأخوة، قال بعض العلماء: الفتوة هي: الإحسان إلى الخلق، وكف الأذى عنهم، بل احتمال الأذى منهم، الإحسان يعني الفتوة، والفتوة تعني الإحسان، كف الأذى، بل احتمال الأذى، بل الإحسان إلى الخلق.

مرة ثانية: الإيمان حسن الخلق، وذهب  
حسن الخلق بالخير كله، وسوء الخلق  
يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.  
أيها الأخوة، قال بعض العلماء: الفرق  
بين مرتبة الفتوة وبين مرتبة المروءة  
أن المروءة أعم من الفتوة، وكأن الفتوة  
تعني أن يتخلق الشباب بأخلاق بطولية،  
وكان الفتوة تخص الشباب بادئ ذي  
الأمر.



أيها الأخوة، الفتوة بمعناها الدقيق استعمال ما يجمل ويحسن مما هو مختص بالعبد، وترك ما  
يدنسه ويشينه مما هو مختص به، فالموقف الكامل هو المروءة وهو ترك الموقف الناقص، كأن  
مكارم الأخلاق جُمعت في المروءة، وكأن مساوئ الأخلاق جُمعت في اللؤم، فلان ذو مروءة أي  
فيه خير، فيه تواضع، فيه كرم، فيه شجاعة، فيه وفاء، فيه إنصاف، جمعت مكارم الأخلاق في  
المروءة، وجمعت مساوئ الأخلاق في اللؤم، لئيم، على بخيل، على جبان، على منحرف، على  
شهواني، جُمعت مساوئ الأخلاق في كلمة واحدة هي اللؤم.

الإمام علي رضي الله عنه يقول: والله والله مرتين، لحفر بئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز في  
يوم عاصفٍ بريشتين، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا  
أبيضين، أهون علي من طلب حاجة من لئيم لوفاء دين.  
سئل أحدهم ما الذل؟ قال: أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يرده.

**ما من شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب :**

لذلك أيها الأخوة، جُمعت مكارم الأخلاق كلها في كلمة واحدة هي المروءة وجمعت مساوئ  
الأخلاق كلها في كلمة واحدة هي اللؤم، والفتوة بين التخلق وبين المروءة وكأن هذه المرتبة  
تخص الشباب لأن ريح الجنة في الشباب، ولأن الله يباهي الملائكة بالشباب المؤمن، يقول:  
"انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي".  
وما من شيء أحب إلى الله تعالى من شاب تائب.



ما من شيء أحب إلى الله تعالى من شايء تائب

أيها الأخوة، حينما نقول: إنما الحلم  
بالتحلم، أنت بالبدايات تتصنع الحلم،  
موقف يؤلم، تغلي من الداخل، لكنك  
ضبطت أعصابك، هذا تحلم، لكن بعد  
حين تكون حليماً، وكاد الحليم أن يكون  
نبياً، والحلم سيد الأخلاق.  
إذاً تتحلم فتكون حليماً، تتكرم فتكون  
كريماً، تتعلم فتكون عالماً، هذه مرتبة  
البدايات، للتوضيح: إنسان تاب إلى الله،

من لوازم توبته أن يكف عن سماع الغناء، لكن كان هناك أغان قبل أن يتوب يحبها كثيراً، راكب  
في مركبة عامة وضعت هذه الأغنية لا شك أنه يطرب لها أشد الطرب، لكن هو بحسب  
النصوص لم يستمع إنما سمع، وفرق كبير بين من استمع وبين من سمع، فهو الآن حينما كف  
عن سماع الغناء ضبط هذه الشهوة، لكن بعد حين يمقت هذه الأغنية، هذه مرتبة أعلى.  
حينما تشتاق للمعصية ولا تفعلها خوفاً من الله هذه مرتبة في البدايات، لكن بعد حين:

(( ليس منا من لم يتغن بالقرآن ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة]

لكن بعد حين تشمئز من هذه الأغنية لأنها لا تليق بمؤمن، والمعاني ساقطة، والمعاني مثيرة،  
وكأنها تدعو إلى معصية.

**عظمة الإسلام أنه أقر مكارم الأخلاق في الجاهلية:**

أيها الأخوة، شيء آخر: الإسلام عظمته أن مكارم الأخلاق في الجاهلية أقرها، فقال عليه الصلاة  
و السلام:

(( إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ))

[أخرجه البزار والإمام أحمد عن أبي هريرة]

ففي الجاهلية كان هناك مروءة، و كرم، إنسان يركب فرسه في أيام الحر الشديدة رأى رجلاً  
ينتعل رمال الصحراء المحرقة، أشفق عليه، دعاه إلى ركوب الخيل وراءه، ولم يكن يدري أن  
هذا أحد لصوص الخيل، فما أن اعتلى هذا اللص وراء صاحب الخيل حتى دفعه نحو الأرض،  
وعدا بالفرس لا يلوي على شيء، فقال له صاحب الفرس: لقد وهبت لك هذه الفرس، اطمئن،  
ولن أسأل عنها بعد اليوم، ولكن إياك أن يشيع هذا الخبر في الصحراء، فإذا شاع هذا الخبر تذهب  
المروءة، وبذهاب المروءة من الصحراء يذهب أجمل ما فيها، كان هناك قيم جاهلية، لذلك كان  
عليه الصلاة والسلام يقول:

(( أسلمت على ما أسلفت لك من خير ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام]

وكان يقول:

(( خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام ))

[ أحمد عن أبي هريرة ]

لذلك قال عليه الصلاة و السلام:

(( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ))

[أخرجه البزار والإمام أحمد عن أبي هريرة]

ولهذا الحديث رواية أخرى:

(( وإنما بعثت معلماً ))

[أخرجه الحارث وأبو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

(( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ))

[أخرجه البزار والإمام أحمد عن أبي هريرة]

## الفطرة و الصبغة :

لا بد من توضيح دقيق جداً، هناك فرق كبير بين الفطرة وبين الصبغة، الفطرة أن تحب الخير وليس من الضروري أن تكون خيراً، الفطرة أن تحب العدل وليس من الضروري أن تكون عادلاً، الفطرة أن تحب الإحسان وليس من الضروري أن تكون محسناً، هذه الفطرة تحب مكارم الأخلاق، محبة مكارم الأخلاق شيء وأن تكون ذا



أخلاق شيء آخر، لكنك حينما تتصل بالله تصطبغ نفسك بكمال الله، الآن دخلنا في الصبغة قال تعالى:

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٣٨]

أما الفطرة فأن تحب مكارم الأخلاق، لذلك:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[سورة الروم الآية: ٣٠]

كل واحد حتى السيئ، حتى اللص، حينما يسرق مع رفاقه يقول أحدهم: وزع هذا بالعدل، و لكن هذا مال مسروق!

أحياناً الإنسان يقول كلاماً عجبياً، هو غارق في المعصية وعنده فطرة، أحياناً تقول الراقصة: إن الله وفقني بهذه الرقصة، شيء مضحك طبعاً!.

## ما من عملٍ أعظم عند الله من حلِّ مشكلات الشباب :

الآن كما هو ملاحظ الشباب قوة كبيرة جداً، الله عز وجل قال عنهم:

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَاهُمْ هُدًى ﴾

[ سورة الكهف ]



ما من عملٍ أعظم عند الله من حلِّ مشكلات الشباب  
كثامين فرص عمل لهم

كلمة فتوة تعني الشباب، أنا لي رأي خاص، أنا أرى أن الشباب في المجتمعات المعاصرة قنبلة موقوتة، هذا الشاب يحتاج إلى بيت، يحتاج إلى زوجة، يحتاج إلى فرصة عمل، فإن لم توفر له هذه المطالب الأساسية الثلاث تطرف، هناك تطرفان؛ تطرف تفلت و تطرف تشدد، تطرف التفلت يبدأ بالغاء الدين وينتهي بالإباحية كما ترون

وتسمعون، أما تطرف التشدد فيبدأ بالتكفير وينتهي بالتفجير، الشباب بين تطرفين؛ تطرف تفلت و تطرف تشدد، لأن من حقه أن يكون له بيت، من حقه أن يكون له زوجة، من حقه أن يكون له عمل يعيش منه.

لذلك أيها الأخوة، ما من عملٍ أعظم عند الله الآن من تأمين لشباب وشابة، من تزويج شابٍ بشابة، من تهيئة فرصة عمل لشابٍ أو شابة، هذه مشكلة المشكلات، ما لم تحل مشكلة الشباب، لن يكون لنا مستقبل، مستقبنا في الشباب، وريح الجنة في الشباب،

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَاهُمْ هُدًى ﴾

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾

[ سورة الأنبياء ]

هذه المرتبة في القرآن الكريم، مرتبة الفتوة كأنها خاصة بالشباب، أنا أقول أيها الأخوة: الشيوخ هم الماضي، والكهول هم الحاضر، والشباب هم المستقبل، لذلك الآن ليس هناك من نهضةٍ لأية أمة إلا وتعتمد على الشباب.



## الشباب قوة كبيرة وهم قوام نهضة الأمة :

هناك ملمح من السيرة والله يلفت النظر، أن النبي الكريم يشكل جيشاً يضع على رأسه قائداً شاباً لا تزيد سنه عن سبعة عشر عاماً، من جنود هذا الجيش؟ أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، يعني هل يعقل أن يمشي خليفة المسلمين مشياً وقائد الجيش أسامة على ناقه؟ أسامة كتلة من الأدب، قال: يا خليفة رسول الله لتركين أو لأمشين، قال: والله لا ركبت ولا نزلت، وما عليّ أن تغبر قدمي ساعة في سبيل الله، خليفة المسلمين صاحب الأول لسيد المرسلين يمشي، وشاباً في السابعة عشر من عمره عينه النبي قائداً للجيش.

الآن شاب عندنا في السابعة عشر، كان الشاب قديماً معه بضع تمرات والسيف إلى الجهاد، الآن معه همبرغر، وبيبيسي إلى الملعب، اختلف الوضع اختلافاً كلياً، مستقبل هذه الأمة للشباب. ذلك سيدنا الصديق احتاج إلى عمر ليكون مساعده في إدارة البلاد، وهذا عمر جندي عند أسامة، فقال له: يا أسامة! أتأذن لي بعمر؟ ما هذا النظام



التسلسلي؟ هناك جيش، و قائد، القائد أسامة، أحد الجنود عمر، الخليفة أراد أن يستبقي عمراً إلى جانبه كي يعينه على إدارة البلاد، فما قال له: ابقْ معي، إذا قال له: ابقْ معي تجاوز القائد، قال له: يا أسامة أتأذن لي بعمر؟ هؤلاء أين تعلموا؟ في أي جامعاتٍ درسوا؟ من أي جامعاتٍ تخرجوا؟ أي أعلى درجة بإدارة البلاد اتبع التسلسل.

مرة حدثني مدير ثانوية معين في بلدة قال لي: جاء مدير التربية، فأخذ معه أمين السر، دون أن يسألني، ثم قال لي: جاء مدير تربية ثان، احتاج لأمين السر دخل واستأذني، قال لي هل تسمح لي به؟ الموقف الثاني حضاري، هناك مؤسسة على رأسها مدير، وهذا موظف عند هذا المدير. أيها الأخوة، ما عيّن النبي عليه الصلاة والسلام أسامة بن زيد في هذا المنصب إلا ليشعرنا أن الشباب قوة كبيرة، وأن الشباب قوام نهضة الأمة.

أيها الأخوة، ورد في الأثر:

(( أحب الطائعين وحبى للشباب الطائع أشد – كتلة شهوات ضبطها – أحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد، أحب الكرماء وحبى للكرم الفقير أشد، وأبغض ثلاثاً وبغضى ثلاثاً أشد، وأبغض العصاة وبغضى للشيخ العاصي أشد، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد، وأبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد ))

[ورد في الأثر]

من يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه :

أخواننا الكرام، ملخص الملخص أن الله عز وجل أودع فينا الشهوات، وبإمكانك أن تتحرك بهذه الشهوات مئة وثمانين درجة



الشرع سمح لك بمئة درجة، بطولة المؤمن أنه يوقع حركته في هذه المنطقة التي سمح الله بها، لذلك قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص الآية: ٥٠]

المعنى المخالف عند علماء الأصول الإسلام سمح لك بعلاقتك مع المرأة كزوجة لا كعشيقة الذي يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل

لا شيء عليه، كلنا نعلم إذا كان هناك عرس يوجد إطلاق أبواق السيارات، ألا يستحيون؟ لا، هذا منهج الله عز وجل، الزواج مشروع، أما أي علاقة مع أنثى خارج الزواج ففضيحة، لذلك قال تعالى:

﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

[سورة هود الآية: ٨٦]

الشرع سمح لك بحيز كبير جداً من الحلال ومنعك عن الحلال، كم نوع من الشراب الآن؟ والله هناك ألف نوع، كله مباح عدا الخمر، سمح لك أن تشرب ما تشاء من عصائر الفواكه، أما الخمر فمحرم، سمح لك بالمرأة كزوجة أولى وثانية وثالثة ورابعة، لكن لا يوجد عشيقة بالإسلام.



## الفتوة هي الصفح عن عثرات الإخوان :

قال بعض العلماء: الفتوة هي الصفح  
عن عثرات الإخوان:

ما كنت مذ كنت لإطوع أخواني  
ليست مؤاخذاة الإخوان من شأني  
إذا خليلي لم تكثر جنايتي—هـ فأين  
موضع إحساني و غفراني؟

\*\*\*

من صفات الفتى الصفح عن عثرات  
الأصدقاء، والصفح عن الزلات، يقول

لك: اتق شر من أحسنت إليه، هذه ليست حديثاً هذه كلمة، أما أنت حينما تحسن إليه وتتسى الله  
وتفاجأ بموقف غير أخلاقي منه فتحس بإحباط شديد، أما لو أنك قدمت هذا العمل لله، ولم يكن منه  
رد فعل جميل فلا تعباً به.

لذلك قيل: اصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله، فإن أصبت أهله فأنت أهله، وإن لم تصب  
أهله فأنت أهله.



## الفتوة مرتبة من مراتب السالكين إلى الله عز و جل :



أيها الأخوة، قال الإمام أحمد: الفتوة  
ترك ما تهوى لما تخشى، الإنسان  
أحياناً هناك أكلات لذيذة يحبها، قال له  
الطبيب: هذه الأكلة تسبب لك أزمة  
قلبية فيتركها، لذلك جاء الإمام الغزالي  
-رحمه الله تعالى- فقال: يا نفس لو أن  
طبيباً منعك من أكلة تحبينها لا شك أنك  
تمتعين، أيكون الطبيب أصدق عندك  
من الله؟ إذاً فما أجهلك، أيكون وعيد

الطبيب أشد عندك من وعيد الله؟ إذاً فما أكفرك، طبيب يقول لك: البيت المرتفع بعه فوراً واشتر  
داراً أرضية من أجل قلبك، تكون قد بذلت جهداً كبيراً في كسوته سنوات وسنوات تبيعه فوراً،  
لأن الطبيب قال ذلك، الله عز و جل يقول لك بستمئة صفحة بكتاب الله :

﴿ اتق الله ﴾

[ سورة البقرة الآية: ٢٠٦ ]

افعل كذا، افعل كذا، يا نفس لو أن طبيباً منعك من أكلةٍ تحبينها لا شك أنك تمتنعين، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله؟ إذاً فما أجهلك، أيكون وعيد الطبيب - وعيد الطبيب مرض - أشد عندك من وعيد الله؟ - جهنم - فما أكفرك.

أيها الأخوة الكرام، ترك ما تهوى لما تخشى هذه من مراتب الفتوة، والفتوة مرتبةٌ من مراتب السالكين إلى الله عز و جل، وكأن هذه المرتبة تعني الشباب أكثر ما تعني، وفي موضوع قادم إن شاء الله نتابع هذه التفصيلات.

## والحمد لله رب العالمين